مهمة الناقد الاشتباك مع العرض المسرحي

هنا رأيت أن مهمة الناقد ليست فقط انتظار العرض حتى موعد افتتاحه الرسمى، و إذا جاز التعبير التربص به فيكتب الناقد أن النقص كذا وكذا والمزايا كذا إلى آخره، بل رأيت أن مهمة الناقد هى الاشتباك مع العرض و مفرداته أثناء البروفات. لذا اتجه فكرى نحو كتابة موضوع بعنوان (الاستيعاب المصرى لمسرح بريشت) فأقمت أحاديث مع صناع العرض جميعاً (صلاح جاهين، سيد مكاوي، سكينة محمد على، سميحة أيوب، كورت فيت وآخرين) ونشر هذا الموضوع فى عشر صفحات فى مجلة المسرح من القطع الكبير جداً حتى أن أحد الأصدقاء أبلغنى أن الأرشيف العالمى لبريشت فى الـ «برلينر أنسامبل» وضع هذا الموضوع فى مكان خاص، وهناك يقسمون الموضوعات على القارات فكان هو الموضوع الأول الذى يمثل أفريقيا على اعتبار أن مصر جزء من القارة الأفريقية، والعجيب أننى حين أبلغت سعد أردش بهذا الأمر بعد ذلك ببضع سنوات فكان رده علىّ: أنا عارف و شفته و مارضتش أقول لك.

هنا نتوقف عبر متابعتى للبروفات عند واقعتين الأولى هى أن الصديق الفنان الراحل عبدالعظيم عويضة كان مشتركاً بالغناء من «البنوار» ليعلق على ما يجرى على الخشبة من أحداث، ففوجئت به يغنى ما يلى : «يا عما الناس الأكابر إللى ما بيشوفوش حركة التاريخ « أو ما معناه ماذا سوف يحدث مستقبلاً، والمقصود هنا أن الطبقات الحاكمة لا تستطيع أن تقرأ المستقبل، فأحسست من اللحن و الأداء نوع من الميلودرامية فيها شئ من العطف على العميان، حيث إن الملحن ضرير و أيضاً كان أحد أفراد الفرقة الموسيقية ضريراً أيضاً، فرأيت أن أهمس بالأمر لصديقى عبد العظيم عويضة حتى يتفادى الحرج فقال لى إنه يدرك هذا التناقض ولا يعرف كيف يتصرف فيه، ثم أشار علىّ أن ألجأ للمخرج، فهمست فى أذن سعد أردش، قلت له إن المعنى مخالف للمقصود فنحن لا نتعاطف مع الناس الأكابر لأن الأكابر ليس عيبهم الرئيسى أنهم مصابون بضعف البصر وإنما بضعف البصيرة، ففوجئت به يرد على بغلظة ويقول لي: وأنت كمان ها تفتى فى المزيكا؟ فرددت عليه بهدوء: أنا أفتى فى المعنى، ولاحظت أن هذه الملحوظة سببت له الكثير من القلق. وفى الاستراحة بين الواحدة والرابعة صعد المخرج إلى غرفة المكتبة وطلب عدد مجلة المسرح المترجم به نص «الأورجانون الصغير» الذى وضع فيه بريشت نظريته عن التغريب، وأخذ يقرأ بشكل محموم باحثاً عن الجزء المتعلق بمسرحية دائرة الطباشير القوقازية، فبعد أن قرأ توجيهات بريشت للموسيقار الألمانى أيسلر يحذره فيها من السقوط فى

العاطفة، فنحن لا نتعاطف مع هؤلاء العميان الذين لا يرون حركه التاريخ، فإذ بسعد أردش يصرخ فيَّ على نحو غير لائق قائلاً (هو أنت تقرالى كلمتين فى الأورجانون و جاى تعلمني؟!!) فقلت له بهدوء: إننى حريص مثلك على العمل. ولما أغاظه هذا الرد المهذب الموضوعى هددنى بمنعى من حضور البروفات، ولكن يبدو أنه أدرك سقوطه فى تصرف غير لائق، فما كان منه إلا أن خاطبنى بلهجة مهذبة (إذن ماذا نفعل فى هذه المصيبة؟) خاصة وإنه كان هناك اسم إضافى على الموسيقى الأصلى هو سليمان جميل الذى كان يزعم التنظير فى كل شئ!! فقلت له بخبث: اسأل سليمان جميل الذى كان موجوداً فى كاست الفنانين ويزعم أنه تخصص فى موسيقى بريشت بالذات ؟ فقال أردش: وأنا سليمان جميل أجيبه منين؟ ما هو قبض وحط اسمه على الشغل وخلاص. واستبعد العودة للفنان الراحل سيد مكاوى نظراً لحساسية الموضوع بالنسبة له ككفيف، وطلب منى أن أبحث عن حل مع صديقى عبد العظيم عويضة الذى قال لى ببساطته المعهودة: نغير الأداء، فما كان منه إلا أن أدى عبارة «يا عما الناس الأكابر» بشئ من السخرية والاستهجان، كما أخذ باقتراح منى فى ترقيق أداء آلات الإيقاع، أما الأمر الثاني: بعد ما انتهيت من نسخ مسودات الموضوع ككل على الآلة الكاتبة – الأمر الذى كلفنى مالاأطيق حينها– ولم تكن المجلة بقادرة على تعويضى عن مصروفات النسخ فضلاً عن مجهودى (كان الموضوع يساوى ٤ جنيهات فقط فى ذلك الوقت) سألنى سعد أردش بغيرة

خاصة: هل قمت بعمل لقاء مع كورت فيت فأجبته بنعم دون أى إدراك لغرضه، فعاجلنى أرجو أن اطلع على أصول الموضوع ككل، وبكل براءة قمت بتسليمه هذه الأصول ومن يومها لم أرها حتى الآن !! علمت بعد ذلك أن (كورت فيت) عاد إلى بلاده احتجاجاً على قيام سعد اردش بإلغاء دوره كخبير فى مسرح بريشت وفقاً للتعاقد بينه وبين وزارة الثقافة. وأخيراً بذل كل من الأستاذين الفريد فرج و عبدالرحمن الشافعى وساطةً لكى أحصل على أوراقى من سعد أردش ! ولكنه أصر على المراوغة والإنكار والتظاهر بعدم التذكر .. حتى رحل عن الدنيا ..!!

- وما هى ملحوظاتك الأخرى حول الحركة النقدية ؟

فى السبعينيات لوحظ تقلص المساحات المخصصة للنقد المسرحى فى الصحف والمجلات المصرية، وحتى مجلة المسرح تم إيقافها عدة مرات ثم أعيد إصدارها عدة مرات أيضا، كل مرة بمجموعة أو ثلة بعينها، فالآن حين تتحدث عن مجلة المسرح لا تستطيع تحديد أى مجلة مسرح .. من هذه المجلات !!

- وماذا نستنتج من هذا الكلام ؟

معناه أن السلطة رغم تظاهرها بالاهتمام بالمسرح و فنانيه و الثقافه و المثقفين فإنها على العكس لا تريد مسرحا ولا تريد نقدا ,المهم ما يرضيها وما تسمح به أو يهلل لها ويضلل لحسابها.

- هذه الملحوظات مرهونة بفترة معينة فقط وأستطيع أن أقول لك الآن الموضوع قد اختلف تماماً . أليس كذلك؟

اسمح لى أن أختلف معك، فعدم انتظام مجلة المسرح كالانتظام فى مرحلة رشاد رشدى، عند تأسيسه لها، ومن بعده انتظام مرحلة مسئولية الناقد فاروق عبدالقادر عنها، اضطربت الإصدارات المتراوحة لهذه المجلة، حتى من ناحية الشكل والحجم وعدد الصفحات وهيئات التحرير بل وإلغاء الألوان أصلا وبدون غلاف!! وإذا كان لك بعض الحق فيما قلته فى سؤالك فإن انتظاماً ما حدث بسبب ظهور المسرح التجريبى إياه، وحتى أثناء هذه المرحلة المتعثرة توقفت المجلة وهى الآن متوقفة بالفعل... ياصديقى إنهم يخشون الفن المسرحى الحقيقى كما يخشون النقد الذى يملك القدرة على المواجهة والتوجيه الأمين.

• وأين كنت تكتب إذن؟

بعد آخر موضوع لى نُشر بمجلة روز اليوسف بعنوان عصافير المسرح القومى كتبته عن الفنانين الذين شاركوا فى تقديم مسرحية النار و الزيتون لـ الفريد فرج، وبكل أسف وضع أحمد عبد المعطى حجازى اسمه ببنط كبير جداً على رأسه، ثم وضع اسمى فى نهاية صفحته الثالثة ببنط لا يكاد يُرى!! بعد ذلك كتبت موضوعاً بمناسبة ذكرى مرور خمسين سنة على رحيل فنان مصر سيد درويش فامتنع عن النشر، فذهبت به إلى جميع المجلات والصحف لكى أتمكن من نشره .

• ولماذا لم تنشره فى صباح الخير؟

بالفعل ذهبت به إلى هناك، ولكننى فوجئت بـ « أبو طالب » موظف الأمن يمنعنى من الدخول بأوامر من رئيس التحرير

صلاح حافظ الذى كان زميلى فى سجن الواحات الخارجة لخمس سنوات على الأقل!!!

• و ما السبب ؟

كانت السلطة حينها قد صادرت عدداً من الأفلام منها فيلم «المومياء» لـ شادى عبدالسلام و فيلم «زائر الفجر» للمخرج الراحل ممدوح شكرى و فيلم ثالث لا أذكره الآن، فكتبت تحقيقاً صحفياً عن مصادرة الرقابة لهذه الأفلام الثلاثة و قدمته لرئيس التحرير وتوقعت أن يتم النشر فى العدد القادم ولكن حينما طالعت هذا العدد لم أجد الموضوع، فسألت صلاح حافظ فقال لى: كيف تكتب موضوعاً ضد الرقابة ؟ ألا تعلم أن المجلة أيضاً تخضع للرقابة؟ فرددت عليه ساخراً: وأنت أيضاً تخضع للرقابة ؟ فنظر إلى ببرود وقال: فعلاً أنا أيضاً أخضع للرقابة ثم أمسك بجهاز التليفون الموجود على مكتبه وقال ساخراً: هذا هو الرقيب! ثم أمسك بالسماعة و رفعها أمام عينى فأردف : يا صديقى نحن نُدار من خلال هذه السماعة التى تقول لنا هذا ممنوع وهذا مسموح، ثم غادرت المكان حاملاً مسوداتى فى يدي.

• وهل توقفت بسبب ذلك عن الكتابة؟

لم أتوقف و لكن بالمصادفة البحتة وكنت أحمل مقالى عن سيد درويش بعد زيارة خائبة لمجلة الإذاعة حين رفضوا نشره، فنزلت من هناك حتى كادت الدموع أن تطفر من عينى، وإذ بصوت ينادينى إلتفت إليه فتبينت أنه الناقد الكبير الراحل على شلش، وكان حينها مسئولاً فى مجلة الكاتب الشهرية بعد

أن غيّروا طاقم تحريرها، وسألنى عن سبب إضطرابى وغضبى، فمددت له يدى بالمقال فإذ به يأخذه منى دون أن ينظر فيه وسألته ألن تقرأه؟ قال لى أنا أعرف كيف تكتب، وما عليك إلا أن تنتظره منشوراً أول الشهر القادم بالمجلة وبالفعل نشر المقال، فأعاد اسمى إلى الحركة النقدية، ثم ألحقت هذا المقال بمقالٍ آخر عن مسرحية غير جيدة لـ عبدالله الطوخى وإخراج جمال الشيخ. ولكن الأمر لم يسلم من التشهير بي، حين ردد صبية اليسار وحزب التجمع أننى أكتب فى مجلة الكاتب «الحكومية!!»

- وما الفرق ؟

أصلا هذا العنوان كان لمجلة يسارية قديمة ثم تولت السلطة الناصرية إعادة إصدارها برئاسة تحرير أحمد عباس صالح الموالى لها وتحت هيمنة كمال رفعت أمين الدعوة والفكر بالاتحاد الاشتراكى، غير أنه حين نجح انقلاب ١٥ مايو فأُزيحت هيئة التحرير القديمة، وجئ بكادر آخر هو عبدالعزيز صادق الذى وقع اختياره على الأستاذ على شلش بتوازنه وصلته الطيبة بكل الأطراف، لهذا ألقمت كل من كانوا يشهّرون بى حجراً فى حلوقهم، حين قلت لهم: إن هذه المجلة هى مجلة الحكومة فى جميع مراحلها فهى لم تكن معارضة أو يسارية يوما ما، وحين تنجحون فى إصدار البرافدا المصرية أى صنو لمجلة الحزب الشيوعى السوفيتى فأبلغونى ولن أتأخر عن إمدادها بمقالاتى شرط أن تسمحوا بنشرها! والآن ليس أمامى سوى مجلة

الكاتب الحالية، سواء يسارية مزعومة أو حكومية محكومة !!.

- بماذا تعتبر موقف صلاح حافظ و صبية اليسار من كتاباتك ؟

المصادرة مثلهم مثل الحكومة بل و أكثر خاصة وأنهم يثرثرون كثيراً عن حرية التعبير إلى حد أننى لم أتمكن ولم أدعَ للكتابة فى صحيفة الأهالى التى لم تنشر خبراً واحداً عن أنشطتى حتى اليوم إلا مرة او مرتين فى ظل رئاسة الكاتب نبيل زكى، على أن موقف صحف الحكومة موقف مفهوم و منطقى مع موقف الحكومة نفسها إزاء كل مختلف معها أو كل مستقل عنها.

- ولكنك كنت تنشر بعض المقالات القصيرة فى الملحق الثقافى و الأدبى لمجلة الطليعة ؟

كان هذا بفضل الناقد المسرحى و المترجم فاروق عبدالقادر الذى كان مسئولا عن هذا الملحق، فاستثنانى بحكم أننى كتبت فى مجلة المسرح أثناء مرحلة مسئوليته عن تحريرها تحت وصاية سعد وهبة ولكنه فعل فعلة سوف أسردها عليك لاحقاً، قبل ذلك حدث أمر مشين يندى له أى جبين !!

- ما هو ؟

كنت قد أجريت حواراً مطولاً مع الفريد فرج حول مسرحية النار والزيتون تحت عنوان المسرح المصرى عربيته وعالميته وحدثت معى نفس الحيرة التى عانيتها فى مقالى عن سيد درويش إلى أن قابلنى صديق قديم يعمل بمجلة الطليعة التى كانت تديرها مؤسسة الاهرام تحت رئاسة تحرير لطفى

الخولى وإشراف ميشيل كامل الذى تبين لى بعدها أنه سكرتير عام الحزب الشيوعى المصرى المزعوم، فأعطيت الموضوع لهذا الصديق ووعدنى أن يرد على بعد أسبوع، ولما لم يصلنى منه أى رد، ذهبت إلى مكتبه فأدخلنى إلى ميشيل كامل فما أن لمح وجهي، حتى قال إنه لن ينشر هذا الموضوع، وأنه لن ينشر لى أى مقال بالمجلة وأردف بنبرة غاضبة دهشت لها : واتفضل خد موضوعك من السكرتارية. بما يشبه الطرد !!!

- وهل نجحت فى نشر الموضوع أم لا ؟ وأين؟

أشار علىَّ شخصٌ ما لا أذكره أن أرسله بالبريد إلى مجلة الآداب اللبنانية المعروفة وقال لى أن سهيل إدريس أشرف من كل هؤلاء الاوغاد، فأرسلت الموضوع وفوجئت بنشره كاملاً فى مارس ١٩٧١ ثم فوجئت بتعليق الكاتب والمفكر اللبنانى الكبير محمد عيتانى يقول ما معناه أن هذا الموضوع أهم من كل ما ورد فى العدد الخاص الذى أصدرته الطليعة القاهرية عن المسرح .

- وهل وجدت فرص أخرى لنشر مقالاتك النقدية ؟

فى عام ١٩٩٢ دعانى الأستاذ مصطفى نبيل لكتابة مقال شبة شهرى بمجلة الهلال فظللت اكتب بها حتى أزاحوة عن منصبة وجائوا بمجدى الدقاق مكانه الذى منعنى من النشر بالمجلة عدا مقالين أحدهما عن نجيب محفوظ والثانى عن رجاء النقاش أما عن المسرح فقد ضيع مقالاتى التى أعطيتها له.

- فى ظنى أن مجلة المسرح قد ازدهرت مرة أخرى فى الثمانينات وبداية التسعينات فلماذا لم تهتم بالكتابة لها بشكل دورى ؟

- فى الثمانينات كانت الطباعة رثة رديئة والإصدار بلا غلاف ولا صور تقريبا وأبيض وأسود فقط وكانت قاصرة على إستكتاب تلاميذ رشاد رشدى أو من يرضى عنهم سمير سرحان ومحمد عنانى وفى التسعينيات دعانى حازم شحاتة للكتابة فيها عن التجريبى فكتبت موضوعا أو موضوعين أحدهما تُرجم إلى اليابانية ونشر فى الصفحة الأولى لإحدى الصحف ثم أرسلوا لى نسخة قام أحدهم بسرقتها منى لكى يسلمها لشخص مرتبط بخصومى الذى قال (أحسن يعمل لنا فيها ناقد عالمى) ولو لم تكن المقالتان عن التجريبى لما سمحوا لى بالنشر بمجلة تسمى مجلة المسرح ..أصلاً.

- وما موقف النقاد الآن فى وجهة نظرك؟

- يكفى أن أاشير إلى ان النقاد مستبعدون حاليا من لجان التحكيم فى المهرجان المسمى بالمهرجان القومى للمسرح إلا مدرس المسرح أحمد سخسوخ، والعجيب أيضا أن تكون موظفة إدارية عضو فى لجنة التحكيم فى الدورة الثانية فى هذا المهرجان فقط يشركوننا فى بعض الندوات أو يسمحون لنا بكتابة بعض التعليقات بعد مراقبتها جيدا.

- ولكن لاحظ أن الدكتور أحمد سخسوخ لة مقالات منشورة ودراسات لها أهميتها فى مجال المسرح.

- لـك أن تراجـع كتبـه وبالـذات كتابـة الأخـير الـذى قـدم فـى ثلاثـة أجـزاء عـن تاريـخ المسـرح المصرى وطبعـه صنـدوق التنمية الثقافيـة، عفـوا يبـدو لى أن أهميتـه تنحصـر فـى ترجماتـه عـن الألمانيـة التـى درسـها بالنمسـا وفـى دوره كمـدرس للمسـرح فـى معهـد الفنـون المسـرحية وجامعـة ٦ أكتوبـر.